ودرجاته، فلا بد من أن يهيأ هؤلاء الطلاب لهذا التعليم تهيئة حسنة تلائم تهيئة المصريين له. وقد اجتمع فريق من قادة الرأي الشرقي العربي منذ أكثر من عام في لجنة التأليف والترجمة والنشر وتشاوروا في ذلك كما تشاوروا في غيره من ألوان التعاون الثقافي، ورسموا لذلك خطة وشرعوا له نظاماً. ثم أخذت وزارة المعارف تفكر فيه وتستعد للدعوة إلى مؤتمر عربي شرقي. والذي أرجوه أن يكون انعقاد هذا المؤتمر دورياً وأن يكون هذا المؤتمر متنقلا في الأقطار العربية على نحو ما يسير عليه المؤتمر الطبي الذي أنشئ منذ حين.

وقد شهدت في العام الماضي — ممثلا لوزارة المعارف — مؤتمر اللجان الوطنية للتعاون الفكري، فتحدثت فيه إلى المؤتمرين بأن مصر تستطيع أن تكون مركزاً من أهم المراكز لهذا التعاون الفكري إذا نهضت بتبعاتها الثقافية نحو الأقطار العربية. ذلك لأنها بحكم مركزها الجغرافي وبحكم نهضتها الحديثة أصدق صورة لما تطمح إليه عصبة الأمم من هذا التعاون الفكري الخالص الذي يقارب بين الأمم ويلغي ما بينها من الفروق ويرتفع بحياتها العقلية عن ألوان الخصومة وضروب النزاع. فالجامعة المصرية مثلا بيئة تلتقي فيها الثقافات الانسانية كلها تقريباً، يحملها إليها أساتذة ممتازون من المصريين ومن الأوربيين على اختلاف أوطانهم ومذاهبهم في السياسة والدين والاقتصاد. وهذه الثقافات كلها تلتقي وتمتزج وتصهر في العقل المصري الذي يسيغها ويتمثلها ويطبعها بعد ذلك شيئاً ما بطابعه المصري الخاص. وهو قادر بعد هذا على أن يذيعها في بلاد الشرق شرقيــة غربية عربية أوربية بريئة مما يفسد الثقافة عادة من التعصب والهوى.

وقد وقع هذا الحديث من المؤتمرين موقعاً حسناً. فهل يقع هذا الحديث من المصريين أنفسهم موقعاً حسناً، وهل يشعر المصريون بأن فرصة ذهبية كما يقال تتاح لهم الآن؟ ، فلكل شر أثر حسن، والشر أن حاجتنا إلى الأوربيين لا تزال شديدة في التعليم، والأثر الحسن لهذا الشر أننا نستطيع أن نكون رسل العلم والثقافة والأمن والسلم والتوفيق بين الشرق والغرب جميعاً.

فاذا أرادت مصر أن تنتهز هــذه الفرصة فذلك يسير عليها لا يحتاج إلا إلى أن تعنى بتقوية الصلة بينها وبين لجنة التعاون الفكري في جنيف ومعهد التعاون الفكري في باريس من جهة، وبينها وبين البيئات والمعاهد العلمية في الشرق العربي، بل في الشرق الاسلامي من جهة أخرى.

طه حسين

الحــــج

للدكتور عبد الوهاب عزام

كان سلفنا إذا أرادوا الحج تأهبوا لسفر شاق، وغاية بعيدة وتزودوا لشهور عدة، ووطنوا أنفسهم على ما يلقون من المشقات والشدائد والأخطار. كان المصريون يذهبون بالبر من طريق سيناء فالعقبة لا يركبون البحر، أو يسيرون إلى القصير فيجتازون البحر إلى الحجاز. ثم جاء عصر البواخر فتيسرت الغاية وقصرت المدة، ولكن بقي بعد هذا قطع المسافة بين مكة والمدينة على ظهور الإبل، وبقي سوء الأحوال الصحية في مجامع الحج، والتعرض للصوص وقطاع الطريق في كل مرحلة وكل حين. بل كان المحمل المصري وهو في حراسة الجند والمدافع لا يجتاز المسافة بين مكة والمدينة إلا بعد إرضاء القبائل الضاربة على الطريق. وكان هؤلاء يتحكمون ويشتدون في مطالبهم، فاذا لم تجب مطالبهم باغتوا الحجيج بالغارة. بل قال المرحوم ابراهيم رفعت باشا الذي تولى إمارة المحمل سنين إنه زار غار حراء سنة ١٣١٨ ومعه مائة جندي وقال « ومما ينبغي لزائري هذا الجبل أن يحملوا معهم الماء الكافي وأن يكونوا جماعاً يحملون السلاح حتى يدفعوا عن أنفسهم شر اللصوص من العربان الذين يتربصون الفرص لسلب الحجاج أمتعتهم ونقودهم خصوصاً في مكان منقطع كهذا لا يقصده إلا بعض الحجاج. وقد بلغني أن أعرابياً قتل حاجاً فلم يجد معه غير ريال واحد فقيل له: قتلته من أجل ريال؟ فقال وهو فرح: الريال أحسن منه »

ذلكم الحج قبل سنين، وأما الحج في هذا العصر فقد تهيأت وسائله وتيسرت مسافاته وأمنت سبله. تنقل الحجاج بواخر كبيرة. وحسبك بواخر شركة مصر التي أعدت لراحة الحجاج وتمكينهم من أداء فرائض الدين في يسر وطمأنينة. في كل باخرة مصلى تقام فيه الصلوات الخمس ويؤذن لكل وقت. فاذا بلغ الحاج جدة وجد المطوفين في انتظاره يتكفل المطوف الذي يختاره براحته وإعداد السيارات له في كل طريق. ويجدون في مكة العناية

براحة الحجيج وصحته . فالحكومة تتخذ الوسائل التي تمنع الزحام ، وتراقب مساكن الحجاج وتلزم أصحابها أن يطهروها وينظفوها

فاذا حان وقت الخروج إلى منى وعرفات ، احتاطت الحكومة فمنعت التزاحم في الطريق وعنيت براحة الحجاج على قدر استطاعتها. وإذا قضى الناس مناسكهم وأرادوا السفر إلى المدينة رُخِّص لهم في السفر على ترتيب قدومهم مكة الأسبق فالأسبق حتى لا يختل النظام ، ويشتد الزحام ، وحتى لا نضيق بهم المدينة. وكذلك يلزم زائرو المدينة . الخروج بعد ثمانية أيام ليفسحوا لغيرهم فلا يجتمع فيها إلا وفود ثمانية أيام طول الموسم

والناس في إقامتهم بمكة ، وسيرهم إلى منى وعرفات ، وسفرهم إلى جدة والمدينة يرتحلون بالليل والنهار آمنين مطمئنين لا يخافون على نفس ولا مال . ويطفرون بطمأنينة لا يظفرون بمثلها في البلاد الأخرى ، ولا يغلو في الحق من يقول إن الأمن في بلاد الحجاز اليوم لا يظفر به إنسان في غيره من بلاد العالم . فاذا خرج الرجل الفرد يحمل جيوبه الذهب يقطع الطريق بين مكة والمدينة نهاراً وليلاً ليس معه رفيق ولا حارس لم يخش على نفسه ولا ماله ، وأحاط به الأمن في يقظته ونومه وليله ونهاره . أمر لم نسمع به ولا نسمع به اليوم في قطر من أقطار العالم المتمدن أو المتوحش

وقد حدثني أحد الحجاج ونحن بمكة أنه ذهب إلى المدينة في رفقة فوقعت منهم حقيبة في الطريق ولم يشعروا بها وتعطلت السيارة في الطريق يوماً أو يومين . فلما بلغوا المدينة افتقدوا الحقيبة فأخبروا الشرطة فردتها إليهم بعد قليل . وأخبرت أن حاجاً آخر كان يطوف بالكعبة فسقطت منه ساعة فذهب إلى الشرطة فردوها إليه . وأعرف أن طالباً من طلبة الجامعة سقطت منه ورقة بنك قيمتها جنيه في سوق مكة ولم يفتقدها إلا بعد أن رجع إلى المدرسة السعودية التي كنا نزل بها . فلما رجع إلى السوق وجدها حيث سقطت أمام الدكان الذي كان يشتري منه . وقد تواترت الأقوال في أمثال هذه الحوادث حتى لم يبق مكان للشك فيها ، وحتى اطمأن الناس فتركوا أمتعتهم الثقيلة في مساكنهم ليرجعوا إليها بعد قضاء مناسكهم ولم يجدوا حاجة إلى أخذها معهم . فنحن تركنا بعض متاعنا في جدة أمام الفندق المصري فأرسل إلينا في أيام مختلفة لم نفقد منه شيئاً وقد تأخر متاع بعض الطلبة كثيراً فقلق ؛ فقلت له : ستأتي حقائبك لا محالة فان شيئاً لا يضيع في هذه البلاد . وكان يسكن إلي قولي حيناً ثم يعاوده القلق حتى جاءت أمتعته كاملة . وأخبرني مخبر عن رجل من الذين ذهبوا إلى الحجاز أنه كان في سيارة ضاقت بأمتعة الراكبين فأخذوا حقيبة عليها اسم صاحبها وتركوها في الطريق عمداً ليتحققوا ثم طلبوها حينما بلغوا غايتهم فردت إليهم والمسافة بين مكة والمدينة زهاء ٥٠٠ كيلو كانت تقطع في أربعة عشر يوماً وقد قطعها ركب المحمل المصري سنة ١٣١٨ من الهجرة في ١٢٥ ساعة وخمسين دقيقة في أربعة عشر يوماً. وتقطعها السيارات الكبيرة اليوم في أربع عشرة ساعة ، ولكن المسافرين يحتاجون إلى الراحة مرات على الطريق فيبيتون ليلة في بعض المراحل ، والطريق كله غير معبّد ، وفيه مسافة قصيرة رملية تسوخ فيها السيارات إن لم يحذر السائق

وقد خرجنا من جدة إلى المدينة بعد المغرب فبلغنا رابغاً بعد سبع ساعات ، وبتنا بها ثم استأنفنا السير ضحى آملين أن نبلغ المدينة في نهارنا ولكن ساخت بعض السيارات في الطريق فآثرنا أن نبيت في مكان اسمه أبيار بني حسان . وخرجنا منها ضحى فبلغنا المدينة بعد العصر . ولكنا في رجوعنا إلى جدة خرجنا من المدينة ضحى فبلغنا رابغاً وقت العشاء بعد أن استرحنا في الطريق ساعتين ونصفاً في ثلاثة مواضع . وبتنا في رابغ وتركناها ضحى فبلغنا جدة ظهراً بعد سير خمس ساعات . فكان سيرنا من المدينة إلى جدة ثلاث عشرة ساعة ونصفاً . وإذا أصلح الطريق سهل أن تقطع المسافة كلها في عشر ساعات . وأمكن الراتب المتعجل أن يقطعها في ثماني ساعات أو سبع . وما أقرب هذا سفراً وأيسره

— ٢ —

ولست أقول إن وسائل الحج بلغت من اليسر والنظام الغاية التي نرجوها ؛ ولا أزعم أن الحرمين الشريفين والحجاز، في الحال التي يتمناها مفكرو المسلمين ؛ فلا يزال المسلمون يرجون للحجاز نظاماً وعمراناً لا يذكر معه ما يسره الله في السنين الأخيرة من الإصلاح والتنظيم . لا يزال مفكرو المسلمين يطمعون في أن يروا في الحجاز آثار التعاون الاسلامي ، وبذل المال في سبيل الله

حتى تكون أحوال الحجاز مكافئة لمكانته عند المسلمين ، ومصورة عناية المسلمين به وتقديسهم إياه

لا يزال المسلمون يتمنون أن يروا الحجاز آخذاً من ثروة المسلمين وعلومهم وفنونهم ما تأخذه الأماكن المقدسة الأخرى من الدين يقدسونها

وما أسعد المسلم الغيور على دينه المعنيّ بإقامة شعائره يوم يذهب إلى الحجاز فيرى الطرق ممهدة بين جدة ومكة فنى عرفات وبين جدة فالمدينة ، ويرى فى طريق المدينة فنادق يأوى إليها فيجد راحته وطعامه وشرابه كما يشتهي ، ويجد مواضع للوضوء والصلاة تمكنه من إقامة الشعيرة على خير الوجوه

ما أسعده يوم يجد فى منى وعرفات مواضع للطهارة والصلاة ميسرة على وجه يليق بهذه البقاع المطهرة . إن المسلمين يضربون اليوم خيامهم فى منى وعرفات فى أمن وسلام ونظام ، ولكن هذه الخيام المتفرقة تقسمهم فلا يجتمعون إلا قليلا . فما أجمل أن يهيأ فى منى وفى عرفات مكان واسع جامع يسع الناس جميعاً فى صعيد واحد يرى بعضهم بعضاً فيشعر المسلم بالجماعة الاسلامية ممثلة والأخوة الاسلامية مصورة . فاذا استمع هؤلاء جميعاً إلى خطيب أو واعظ أو داع يتكلم فى مجهر فيسمعهم معاً ويعظهم معاً ويدعو فيؤمنون بصوت واحد ويرفعون أيديهم جملة واحدة كان فى هذا من الجمال والروعة ما لا ينساه المسلم على مر الزمان وبقيت هذه الصورة فى نفسه حيثما سار تذكره بالأخوة الاسلامية

وهل أغلو إذا قلت إن من المسلمين من يرجو أن يكون فى منى مدرج ينحت فى الجبل يسع مئات الآلاف من الحجاج يجتمعون إذا شاءوا ويتفرقون فى سكون وطمأنينة وسلام فى وقت قليل وحركة يسيرة كما تفعل الأمم الأخرى فى مجامعها التى تضم آلافا كثيرة ؟ ولماذا لا يكون للأمم الاسلامية بيت فى مكة أو المدينة يجتمع فيه بعد موسم الحج مثلا ممثلو هذه الأمم ليتشاوروا فيما بينهم ويداولوا الآراء فيما يصلح المسلمين ويرفع أخلاقهم ويسعدهم بين الأمم ؟ . لماذا لا يبذل المسلمون من أموالهم وأفكارهم لانشاء المدارس واللاجئ والمستشفيات فى الحجاز ، وفى إنشاء المكاتب ونشر الكتب الاسلامية والمجلات تبحث الأمور الاسلامية المشتركة وتقصد إلى التقريب بين التربية الاسلامية والثقافة الاسلامية فى العالم الاسلامى جهد الطاقة . إن الحجاز ينبغى أن يكون ملتقى المصطلحات الاسلامية

ثم يرجو كل مسلم أن يصلح المسعى بين الصفا والمروة فيفصل من السوق والطريق ويجعل على شاكلة تشعر الساعى أنه فى عبادة ينبغى أن تفرغ لها نفسه ، وتتم لها توجهه . وما أحوج الحرمين فى مكة والمدينة إلى أن تزحزح عنهما الأبنية المجاورة ويدور بهما مهيع واسع يظلله الشجر . وهناك بعد هذا إصلاح مذبح منى وحفظ لحوم الأضاحى وجلودها لينتفع بها أو بأثمانها الفقراء طول العام . ثم تعبئة ماء زمزم فى أوان ترسل إلى الأقطار الاسلامية ، وقد أثبت البحث أنه ماء نافع مرىء فضلا عما له فى نفوس المسلمين من حرمة . ثم إضاءة مكة والمدينة وسوق الماء إلى دورها ومساجدها ، وأمور غير هذه كثيرة

هذا كله جدير بعناية المسلمين وتعاونهم وبذلهم من أموالهم وأفكارهم وأعمالهم . ولن يؤدوا واجبهم ويعربوا عن اهتمامهم بدينهم ويبرءوا من التقصير حتى يحققوا هذا كله بل أكثر منه

وقد تحقق الشرط الأول لكل إصلاح وهو الأمن الشامل . والطمأنينة العامة يسرها الله للحكومة السعودية واستحقت بهما مثوبة الله وشكر المسلمين كافة . فعلى المسلمين جميعاً أن يتقدموا فيتعاونوا جميعاً على خطة معينة خالصة لوجه الله يعالجون بها من أمور الحجاز ما يجعله صورة لحضارة المسلمين وتآلفهم وتعاونهم . ومن أولى من المسلمين بالتعاون والتآخى ودينهم دين الأخوة العامة والتعاون على البر والتقوى . والله يهيئ للمسلمين من أمرهم رشداً ويوفق للخير حكومات الاسلام عامة والحكومة المصرية خاصة وهى التى حملت النصيب الأوفر فى أمور الحجاز منذ قرون كثيرة والتى يؤمل المسلمون فيها خيراً كثيراً فى رعاية جلالة الملك الصالح « فاروق الأول » حفظه الله

قبلنا رابغا بعد ثلاث عشرة ساعة ، وقد استرحنا على الطريق ثلاث ساعات وعشرين دقيقة فى ثلاثة منازل . فكان مسيرنا بين المدينة ورابغ زهاء عشر ساعات

واستأنفنا السير نحو الغد فبلغنا جدة بعد خمس عشرة ساعة وكان توقفنا على الطريق ساعة فى منزلين ، فكان مسيرنا من طيبة إلى جدة أربع عشر ساعة . والمسافة بينهما نحو خمسمائة كيلو تقطعها السيارات بالسير الوسط فى عشر ساعات ويستطيع المتعجل أن يطويها فى ثماني ساعات أو سبع . فاذا يشكو المسافر من سفر يقدر بالساعات لا بالأيام والشهور ثم لا يجد فيه ظمأ ولا جوع ولا حر ولا سهر ولا خوف ؟

عبد الوهاب عزام